

إلا أنه لم يمضِ وقت طويل على ذلك (عشر سنوات فقط) حتى استعاد المسلمون المدينة المقدسة من الصليبيين حرباً، إذ إنه، ما أن انتهت مدة المعاهدة الموقعة بين الملك الكامل وفردريك الثاني بشأن القدس (عام 636هـ = 1239م) حتى عاد البابا غريغوري التاسع (في صيف عام 1239م) لإعداد حملة صليبية جديدة بغية إبقاء القدس بيد الصليبيين، وكان لم يمضِ بعد، على موت الملك الكامل سنة واحدة (توفي عام 635هـ - 1238م).

انطلقت الحملة الصليبية، فرنسية هذه المرة، بقيادة Thibaut IV تيبوت أو تيبالد الرابع (كونت شمبانيا وملك نافار) باتجاه الشرق، من فرنسا بحراً، فوصلت إلى عكا (في مطلع أيلول/ سبتمبر 1239م - 637هـ)، واستطاعت، خلال أيام، أن تحشد جيشاً من نحو ألف فارس وألف راجل⁽⁹²⁾. وانعقد مجلس قيادة الحملة لتقرير خط سيرها بعد عكا، ونوقشت كل الاحتمالات والفرضيات، وتم الاتفاق أخيراً، على أن تتوجه الحملة، جنوباً، نحو عسقلان وغزة، وهما معقلان مصريان، بغية الاستيلاء عليهما وجعلهما مركزاً لانطلاق الحملة نحو دمشق شمالاً، بعد أن تكون قد حمت مؤخرتها من أي هجوم مصري من الجنوب، كما حالت دون وصول أي مدد يمكن أن يأتي، من هذه الجهة، أي مصر، إلى أهل دمشق وبلاد الشام.

إلا أن الحملة الصليبية هذه منيت بهزيمة ساحقة على أبواب غزة حيث تصدى لها جيش مصري بقيادة الأمير المملوكي ركن الدين، فخسرت، في هذه المعركة نحو ألف رجل وأسر نحو ستمائة⁽⁹³⁾، وفرّ الباقون باتجاه عسقلان حيث كان يعسكر، تحت أسوارها، ما تبقى من الجيش الصليبي.

وفي هذه الأثناء، اغتتم الملك الناصر داود، صاحب الكرك، انشغال الصليبيين بحربهم مع المصريين في غزة، فزحف إلى بيت المقدس حيث ألقى الحصار عليها طيلة 27 يوماً، ولم يكن فيها من وسائل الدفاع، «سوى ذلك

(92) رنسيان، المرجع السابق، ج 3: 372 و374. ويذكر عاشور أنه كان في هذه الحملة «ألف وخمسة فارس عدا المشاة» (عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، ج 2: 1034).

(93) رنسيان، م. ن. ج 3، ص 375، وقيل ألف وثمانماية رجل، «ولم يقتل من المسلمين غير عشرة» (عاشور، سعيد، م. ن. ص 1036).